الاسرة والحب

الجزء الثاني

<u>قصة سمعتها من قداسة البابا شنوده الثالث</u>

العصفور والصياد

يحكي أن صياداً امسك بعصفور واراد أن يذبحه ليأكله ... فأراد أن يهرب من مصيره المظلم فقال للصياد:

" إني لا أشبعك من جوع ولا أغنيك من فقر... فلو أطلقتني لأعطيتك ثلاث نصائح ... الأولي وأنا في يدك.... والثانية وأنا على الشجرة والثالثة وأنا طائر في الجو.... ".

دفع الفضول الصياد إلى الإستماع لنصائح العصفور الذي قال له وهو في يده " لا تندم على ما فاتك " ..." فأطلقه فصعد على الشجرة وعلى الشجرة قال له النصيحه الثانية " لا تصدق كل ما يقال لك". إرتجفت يد الصياد فى إنتظار الإستماع لنصيحة العصفور الثالثة الذى طار وقال للصياد " أنظر إن في جوفي لؤلؤه وزنها أوقيتان " هنا أسرع الصياد وأمسك بندقيه ليقتل بها العصفور ويفوز باللؤلؤة غالية الثمن .... غير أن العصفور إرتفع طائراً في الجو فلم يستطع الصياد أن ينال منه فقال له " ها أنت فى الجو فقل لي النصحية الثالثة فرد العصفور قائلاً

" مادمت لم تعمل بالنصحية الأولي فندمت على ما فاتك إذ رأيتني حراً طليقاً .... كما لم تعمل بالنصيحة الثانية فصدقت أن في جوفي لؤلؤه تزن أوقيتين بينما وزني كله أقل من ذلك .... فلا تستحق إذن أن أقول لك النصحية الثالثة...وطار العصفور حراً طليقاً .... بينما خسر الصياد العصفور دون أن يستفيد من نصائحة ذلك لأنه لم يف بتعهده مع العصفور وأراد قتله . فاستحق أن يوبخه العصفور ويمتنع عن قول النصحية الثالثة.

<u>قصة سمعتها من قداسة البابا شنوده الثالث</u>

موعد مع الموت

أمير فرنسي رجع الى بيته فوجد سكرتيره يحزم أمتعته إستعدادًا للسفر، فسأله عن السبب فقال: " بينما كنت أتمشي في شوارع باريس ... رأيت ملاك الموت... فنظر اليّ نظرة أفزعتني .... فخفت وقلت أترك هذه البلد كلها .... فسأل الأمير وإلى أين أنت ذاهب؟.... فقال إلى طولون لأنها بعيدة ... وفعلاً أخذ السكرتير عربته وأمتعته وسافر بسرعة إلى طولون...

وبعد سفره بساعات .... خرج الأمير يتمشى فى شوارع باريس ورأي ملاك الموت ...فقال له : " أسألك ياسيدي الملاك نظرت إلى سكرتيرى نظرة أفرعته وجعلته يهرب من البلد؟ فأجاب الملاك أنا لم اقصد مطلقاً أن أفزعه.... ولكني نظرت إليه باستغراب كيف أري هذا الإنسان يتمشي في شوارع باريس بينما لي ميعاد معه هذه الليلة في طولون؟!.

لأنه إبني !!!!

ذهبت الأم لتتسوق وتركت طفلها مع المربيه ... حفلت مشتروات الأم بلوازم طفلها.... من لبن يفضله .... الى حلوي يحبها .... مرورا بلحوم وخضروات لازمه لنموه ... إقتربت الأم من منزلها تتطلع أن ترى فرحة إبنها حين يري الحلوى التي يحبها .... لتفرح أيضاً لفرحه ... غير أنها سمعت أصوات صراخ ولما إقتربت لاهثه من مصدر الصراخ أدركت أن النار قد إشتعلت في العمارة التي تسكن الدور الحادي عشر منها .... ترى ما تفعل ؟! هل تنتظر قدوم سيارة المطافي؟! ومن يدريها أنهم حينئذ سيصلون إلى إبنها ويجدونه حياً؟!... هل تصعد إلى إبنها.؟! ... وماذا لو إنهارت السلالم ؟! وماذا لو اختنقت ؟! وماذا لو احترقت ؟! أسئلة كثيرة لم تضيع الأم وقتها في التفكير فيها بل تركت مشترياتها واندفعت مسرعة نحو باب العمارة صاعدة بالرغم من كل التحذيرات .... بالرغم من كل الصراخ حولها .... بالرغم من كل ما يهدد حياتها ... لقد كان صوت حبها لابنها يعلو عن كل الأصوات الأخري!!! كانت تريد أن تحتضنه .... وتحفظ بجسدها من قوة النيران وتكون له الرئة التي يتنفس بها إذا ما إختنق .... والعين التي يرى بها إذا لم يستطع أن يبصر.... كانت تصعد لاهثة .... تحاول أن تجد لها موضعاً لقدم بين الجموع الهاربة من النار.... وأخيراً ..... وبعد عناء شديد... إحتضنت الأم طفلها وهي لا تكاد تستطيع أن تتنفس... فكثافة الدخان حجبت عنها النور والهواء ... ولهيب النيران تزداد قوة... ثم أخذت الأمر تفكر بسرعة كيف تنجو بابنها من هذا الحجيم؟!...

نظرت الأم من النافذه لتجد جنود المطافى قد مدّوا سلالم الانقاذ ولما إقتربوا منها صرخت تستغيث.... فأنزلوها مع طفلها في سلام ..... وهنا لم يستطع قائد المطافى أن يمنع نفسه من سؤالها: " كيف جرؤت على إقتحام النار دون خوف من الموت حرقاً ...كيف نجحت فيما فشل فيه الجميع؟!

" أجابته الأم في ثقة وهي تحتضن طفلها بقوة : لأنه إبني !!!.

في مدرسة أمي

كانت أمي تعمل في مهنة التدريس .... تلك المهنة التي تمنت دائماً أن تمارسها .... لكنها لـــم تستطع الاستمرار في مهنتها عندما إكتشفت إنها حامل بي.... وتركت أمي عملها وإن ظلــت مهنة التدريس هي حلم حياتها الكبير....

ولما ولدت .... إرتبطت أمي بكل صغيرة وكبيرة في حياتي المبكرة .... حتي صرت جــزءاً لا يتجزأ منها .... كنا نعمل كل شيء سويا ابتداءً من تصنيع البــسكويت إلــى القــراءة .... والصلاة .... والترنيم .... وتجميع الصور .... لم أكن أتابع التليفزيون لا لأنه من الممنوعات بل لأني كنت أجد متعتي الكبري في تأليف القصص مع أمي .... لم نكن أغنياء في المال ... بل في الحب .... والسرور ... والآمان ..... وكثيراً ما تمتعت بحضن أمي وقبلاتها...

وفي سن الخامسة بدأت رحلتي مع الدراسة .... كنت شغوفا لذهابي للمدرسة ولكنـــي خـــائف ..... وفي أول يوم دراسي ... جلست حول المائدة مع زملائي لنأكل ... وفتحت علبة الطعام التي أعدتها لي أمي .... فوجدت هذه العبارة التي أعرفها تمام المعرفة لكثرة ما كتبتها لي أمي : " أني أحبك .... وفخورة بك...".

وبدفعة هذا الحب ... وهذه المسئولية مر اليوم الأول في دراستي بسلام .... وتتابعت الأيـــام .... وتتابعت معها رسائل حب أمي وتشجيعها.

وفي المرحلة الابتدائية ... وجدت صعوبة في مادة الحساب ... فكتبت لي أمي إنك تستطيع أن تتغلب على هذه المشكلة .... لا تنسَ إنك مؤلف عظيم ..." .

وفي المرحلة الاعدادية ....كتبت لي أمي :" حاول أن تكسب زملاءك الذين يضايقونك... ولا تخشهم ... فأنت صاحب شخصية جذابه يحبها الجميع"...

وفي المرحلة الثانوية .... تربع فريق الكرة الذي كنت أحد لاعبيه على القمه ... فكتبت لـــي أمي :" اللعب مع الفريق يلغي الأنا .... لقد فزت بهذا المركز لأنك تعلمت أن تلعــب بــروح الفريق...".

وهكذا رأيت أمي تساندني وتقاسمني حياتي ومشاعري في كل مراحل عمري بالحب والتشجيع والنصح...

وأحتفظت برسائل أمي كلها ... وحين أقرأها أشعر بدفء الحب والثقة ومحبة الآخرين . كما بثتها فيّ أمي منذ نعومة أظافري....

وأخيراً رأت أمي أن تحقق حلم حياتها .... وترجع للتدريس وفى يــوم الدراســة الأول .... فتحت أمي حقيبتها فقرأت هذه الكلمات التي كتبتها لها : " أحبك يا أمي ... لقد كنت وستظلين دائماً نعم المدرسة الناجحه"...

الأبن المحبوب

اعتاد الأب أن يدعو ابنه " بالابن المحبوب " مثل صباح الخير أو مساء الخير يا ابني المحبوب ... كيف كان يومك يا ابني المحبوب.... هل استطعت أن تجد حلا لمشكلتك مع المدرس يا ابني المحبوب ... وهل وفقت في اختيار ملابس مناسبه لك يا ابني المحبوب " وهكذا .... ".

وفي هذا الجو الذي يفيض حباً كبر الوالد بين أب وأم تربطهما مشاعر الموده والحب والاحترام...

ولما مرض الأب كان الابن بجواره يسمع منه كلمة " يا ابني المحبوب " بنظره عين ... بلمسه يد .... بابتسامه هادئه .... أو بقبله.

ومات الأب وافتقد الابن حب والده وحنان والدته وسط تدفق المعزين ... ورنين التليفون .... وكلمات الأسي والحزن ...ودموع الفراق والوداع وتمني الابن أن يرى والده في حلم ... أو في رؤيا...

ومرت الأيام... ثم الأسابيع .... ثم الشهور والابن ينتظر أن يرى والده ... ولكن بلا جدوي...

وفي يوم ... كان الابن جالسا يتساءل " ترى لماذا لم يرَ والده حتى الآن؟!..... وفيما هو مستغرق في أفكاره المظلمه شعر بذراعي أمه تعانقاه ... وصدرها يحتضنه ... بينما آتاه صوتها الحنون: " فيما تفكر هكذا باستغراق يا ابني المحبوب " ..... هنا فقط عرف الابن أن أباه لم يمت ... لقد استطاع أن يرى والده أخيراً .... ويشعر بحبه ... من خلال محبة أمه ...حقاً أنه مازال " الابن المحبوب".

والحب أيضاً

كانت الأم مستغرقة في عملها أمام ماكينه الخياطة مصدر رزقها الوحيد لها ولأولادها الثلاثة.... ولزوجها المريض ....رفعت نظرها لترى طفلتها الصغيره تجلس في سكون وهي تنظر إليها ... لمحت الأم في عيني طفلتها إحتياجها لحضنها وقبلاتها...

فقامت وأجلست طفلتها على ركبتها واحتضنتها وقبلتها كما كانت تفعل معها دائماً دون أن تفكر في اليوم الذي ستكبر فيه وتناقش أوامرها .... بل وترفض طاعتها .... أو في اليوم الذي ستختار فيه لنفسها شريك حياتها وتتركها وحيده .... وكانت الأم تتمتع باللحظه الراهنه وبنتها بين ذراعيها ... وكل منهما سعيد بحب الأخر...

جلست الأم تكمل عملها ... وهنا طرق الباب ليطالبها الزائر بالايجار المتـراكم عليهـا وإلا اضطر للحجز على ماكينة الخياطة...
ابتسمت الأم في هدوء لتهدئ من هلع طفلتها الصغيرة التي سألتها " من أين سنعيش ؟ " ولمـا أجابتها الأم أن الله الذي لم يتركها في الماضي لن يتخلى عنها في الحاضر ... تساءلت الابنة في مرارة كيف يستطيع الله أن يساعدنا في الاحتفاظ بماكنية الخياطة؟!.
وفي اليوم المحدد للسداد أو البيع سمعت الابنة طرقا على الباب فقالت في فزع لابد انه الدائن قد جاء ليأخذ مصدر رزقنا الوحيد...
فتحت الأم الباب بينما اختبأت الأبنة كي لا ترى هذا الدائن البغيض .... فوجئت الأم برجـل يحمل طفلة ويقول لها : لقد توفيت زوجتي وتركت لي هذه الطفلة ولعلمي إنك امرأة فاضـلة أحضرتها لك لتراعيها وسأتكفل بكل احتياجاتكم.
وهكذا تدخلت عناية الله لتحتفظ العائلة بماكنية الخياطة ولكي ترى الابنة يد الله الحانية تعمـل من خلال حب أمها وإيمانها....

عظمة أبي

في إجتماع الأسرة يسوده الحب ... تمت الموافقة على إقتراح يلزم كل فرد فـي الأسـرة أن يكتب لنفسه بياناً بجميع أعماله التي يشعر بالخجل منها الآن...
جلست أكتب ... فوجدت الكثير لأكتبه ... إرتبكت وبدأت الحيرة والخوف والفزع تسيطر على أفكاري وتشتتها .... هنا إقترحت أمي أن يعتذر كل مخطئ لمن أخطأ اليه .... وإن كان قـد تكلم عليه رديا أن يصحح المفاهيم ... وإن كان قد ظلمه في مال أو ممتلكات فليردها إليه...
حينئذ أحسست أن المشكلة اكبر من تحملي... وكيف أستطيع أن اتقارب مع الآخـرين وقـد اسأت تقريباً لكل من تعاملت معهم في حياتي...
هنا إرتفع صوت والدي يحكي أنه كان قد اشترك مع زملائه في وضـع خطـة للاسـتهزاء بمدرس الفصل .... وعندما جلس المدرس على كرسيه وقع أرضاً وضج التلاميذ في الضحك ... ولما سئل أنكر أية صلة له بهذا العمل !!!! ومرت الأيام والشهور والسنون ..... الـى أن تذكر يوما هذا العمل المشين مع هذا الرجل الذي يدين له بنجاحه في الحياة.... فشعر بالخجل يملأ نفسه وقام يبحث عن رقم تليفون هذا المعلم الجليل .... واتصل به .... وعرفه بنفسه ثم قال له : " لقد كنت العقل المدبر في خلع رجل الكرسي الذي كنـت سـتجلس عليـه. " سـاد الصمت برهة من الوقت ليكسره صوت المدرس قائلاً : " نعم ... لقد كنت أعرف ذلـك" ثـم أطلق ضحكه عاليه وبدأ معي حواراً شيقاً أنهاه بهذه الكلمات : " لقد تضايقت كثيراً من أجلـك

يا إبني .... لأنك في مرحلة من العمر يزداد فيها التضارب بين المثاليات والواقع .... وتتأجج فيها العواطف... وتتضارب فيها الآراء... وكان تصرفك معي أوضح تعبير لما تعانيــه فــي داخلك.... لذلك عفوت عنك في لحظتها ... ليتك تكرر إتصالك بي يا إبني .... سأكون سعيداً بالتحدث معك....

وبعد حديث أبي .... قلت لنفسي : " إن كان أبي هذا العظيم قد أختبر وهو في مثل سني مــا أمر به الآن ..... فالمشكلة إذن بسيطة أستطيع أن أتجاوزها وأكون في مثل عظمة أبي...

ومر الوقت وفي كل فرصة .... أظهر محبة لمن أبغضتهم بلا ســبب .... أصــحح مفــاهيم خاطئة قلتها.... ومن هنا تعلمت كيف أتعامل مع نفسي .... ومع الآخرين ... لذلك وجــدت الحلول للمواقف الصعبة....

وهدأ الصراع الذي في داخلي عندما وجد له صيغة يعبر بها عن نفسه وهي صــيغة العطــاء .... وأزماتي إنكسرت حدتها عندما تفهمتها أسرتي واحــاطتني بمقــدار أكبــر مــن الحــب والرعاية.

إني واثق الآن إن إصلاح الأخطاء أمر ممكن .... فباب الرجاء مازال مفتوحا وإن كان والدي قد أخطأ ومع ذلك صار عظيماً ..... أستطيع أنا أيضاً أن أكون عظيماً مثله... فمنذ الآن لــن تعوقني كثره أخطائي عن التقدم والنمو لأكون عظيماً مثل أبي...

نداء الحب

إختار أبي عيد ميلادي لعبر لي عن مكانتي الخاصة في قلبه ... وكنت حينذاك في السادسة من عمري ... وفي هذا الصباح وجدت في حجرتي خطاباً بجواره هديه.... كان الكارت من أبي ....

يهنئني بعيد ميلادي ويختمه بهذه العبارة " بابا الذي يحبك ".

كانت هديتي خاتماً صغيراً يتوسطة حجر أحمر جميل .... وضعت الخاتم في أصبعي والفخر يملأني بهدية أبي الذي يحبني ....

ومضت السنون.... وتغيرت نوعية الهدايا بتغير اهتماماتي ومفاهيمي فــي الحيــاة .... وإن ظلت جمعيها تحمل هذه العبارة " بابا الذي يحبك ".

ومع مرور الأيام .... زاد عدد الزميلات وزادت عدد المكالمــات التليفونيــة وزاد انــشغالي بصحبة الصديقات والزميلات .... كما زاد عدد الكروت التي وصلتني تحمل لي جميعها اجمل

التهاني بعيد ميلادي ومعها وصل كارت أبي يحمل نفس العبارة التي لا تتغير ... ولكن كـــان شيئا في داخلي قد تغير ...
لقد قرأت الكارت دون أن أشعر بنفس الفرحة....
ونفس البهجة ..... ونفس الفخر.... لقد طغت المشاعر التي احملها لزميلاتي مع مـــشاعري نحو أبي ... وإن كان أبي قد أحس بهذا التحول إلا أنه لم يظهره أبدا ... بل ضـــاعف مـــن اظهار حبه لي بشتي الطرق...
بقبله خاطفة ... بنظرة حنان .... وتفهم .... بمساعدة في حينها ... بهدية صغيرة معبرة .... ومع تقدم العمر...
تفرقت الزميلات كل في كليتها .... ثم كل في عملها .... وتفرغت كل منهن لحياتها الجديـــدة .... في صحبة جديدة ... في مجتمع جديد .... في اهتمامات جديدة...
وجاء يوم ميلادي .... وانتظرت تهاني الصديقات والزميلات التي ظلت تتناقص مع مـــرور السنين حتى تلاشت ... ورنين التليفون الذي كان لا ينقطـــع أصـــابه الـــصمت المميـــت ... وصندوق البريد الذي كان متخماً من كثرة الخطابات صار خاويا إلا من خطاب واحد استطعت بالجهد أن اقرأة ولكنه يحمل هذه العبارة التي لا يمكن أن أخطئها " بابا الذي يحبك".
لقد استطاع والدى أن يشعرني بأهمية حبه لي طوال سنين عمري ... فكـــان حبـــه الفيـــاض المستمر يعبر لي دائماً عن تفهمه لمشاعري والتحولات التي أتعرض لها فـــي كـــل مراحـــل عمري...
وعن هدفه الأوحد ألا وهو أن يجعلني أعيش سعيدة ... ظل والدي يعبر لـــي عـــن حبـــه.... وظلت ذكري هذه المحبة في داخلي .... تحيطني لتحفظني على مدي سنين عمري ... لـــئلا أجرح هذا القلب الكبير الذي لم يكف أبداً عن اظهار حبه لي .... ليحتوي قلبي في قلبـــه ... فجعلني أسيرة لهذا الحب الفياض...

رسالة حب

خرج الابن غاضبا ثائراً .... لقد أصر والده على موقفه ولم يوافقه على الفتاة التي اختارهـــا لنفسه زوجة وأما لأولاده .... قال له أن الفتاة لا تناسبه ... بل وتختلـــف عنـــه كليـــة ..... إجتماعياً .... وأسرياً .... فنحن نؤمن بالحرية الموجهة وهم يؤمنون بالحرية الاباحية وقانونها واحد هو إشباع الذات.... نحن من أسرة تؤمن بالقيم والمثل بينما هم من أسرة سبيلها الوحيـــد مجاراة المجتمع الأرستقراطي في سهراته وحفلاته ومعطياته...

خرج الابن اذن وهو تعيس ... ووحيد..... لقد خذله والده .... لذا فسوف يقاطع مثـــل هـــذا الأب القاسي الذي داس على مشاعره بلا رأفة .... جلس الأب في إنتظار رجوع إبنــــه ..... وهو يفكر .... تري ماذا تراه يفعل ؟! لقد حاول أن يجلس مع ابنه ويناقشه .... ولكنه سرعان ما تذكر أن كل مناقشاته معه باءت بالفشل .... فالابن تقوده عواطفه المتأججه...... ويــسمع دون أن يفهم .... ويري دون أن يبصر....

وجاءت الأم .... وجلس كلاهما يفكر .... كيف يعبران لإبنهما عن حبهما؟ إقترحـــت الأم أن تكتب لابنها الرسالة التالية:-

إبني الحبيب .... كم أنا سعيدة كل السعادة أن أراك الآن شاباً ناضجاً ... عندما تكون بجانبي أشعر إنني امتلك الأرض بكل ما عليها .... وكلما احتضنتك بين ذراعيّ أشعر بأنني أحتضن السماء بقمرها وكواكبها ونجومها .... ليتك تدرك يا ابني إنك في قلبي دائما .... سيظل حبي لك حياً .... مادمت حيه ... أشكرك يا إبني .... فحبك هو الذي ملأ حياتنـــا بالـــسعادة ..... فالإنشغال بك وباحتياجاتك اليومية والدراسية والقلق عليك إذا مرضت أو تأخرت .... والصلاة لأجلك في أثناء إمتحاناتك وأزماتك .... وكفاحنا من أجل تدبير مستقبلك .... كلهـــا شـــموع مضيئة أضأت بها حياتنا !... هل تراك يا إبني تستطيع أن ترانا بعيداً عن ظـــلال فتاتـــك ... وتسمعنا بعيداً عن ضوضاء مشاعرك الثائرة ؟! ليتك تفعل يا ابني .... سوف تسمع حينـــذاك أجمل عزف لقصيدة حب طاهر نقي لا يريد سوي راحتك ! وسوف تدخل في أجمـــل بـــستان تزينه أجمل زهور تفوح منها أجمل روائح الحب والعطاء....

وأعلم يا ابني أنه بلا ألم لا يوجد ربح .... فالعيش في بيئة خالية من الجراثيم والميكروبـــات يقتل كل حصانة ضد الأمراض فينا.... والعقل الذي يواجه مشكلات الحياة ... يكتسب حكمة وفهماً .... واجه حبك الخاطئ بشجاعة واستنارة .... ولا تسقط يا إبني أبداً في ظلام اليـــأس بل اسمح لله بامتلاك حياتك لكي تري الحياة من خلال عينيه.

بابا – ماما

ومرت الأيام ثقيلة كئيبة ..... والابن لا يرجع ..... والأب لا يكف عن البحـــث عـــن إبنـــه والتفكير فيه.... والأم لا تكف عن كتابة رسائل الحب لإبنها......

وأفتقد الإبن حب والديه وحنانهما ..... فهو لا ينسي أبداً حنان أمه وفيض الحب الذي احاطـــه به والده ... كم من مرة جلس في حضن والده .... يلعب ويمرح معه .... كم من مرة اراحه من ضغوط الدارسة... كم من مرة بث فيه الثقه بالذات وطلب منه ألا يبالي بانتقادات زملائه ! .... وهل يستطيع أن ينسي حنان أمه ؟ على الرغم من المشاحنات وتصادم الارادات لم تبخل عليه أبداً بمعانقه دافئة .... نعم كان دائماً المحبوب.... ذا القيمة العظيمة عند والديه....كيـــف ينسي كل هذا الحب؟!..

وقرر الابن أن يرجع ... ولكنه كان خائفاً... خائفاً من عدم قدرته على تحمل مسئولية قـــراره .... لكنه رجع يمهد له طريق الرجوع حب والديه .... ووجد حباً عظيماً فـــي انتظـــاره .... تسنده قوة الأب وعطفه .... وحنان الأم ورسائلها ..... رسائل الحب .....

جلسة مع الذات

جلست الأم يائسة .... واستغرقت في التفكير ماذا عساها أن تفعل في هذه المشكلة التي تؤرق حياتها .... لقد جاهدت أن توصل لإبنها كامل معرفتها بآداب الحياة ونظامها ومبادئها ... وها هو ذاك الإبن يجعلها في كل لحظه تموت خجلاً .... فإذا رأي رجلاً أصـــلعاً صـــاح بـــأعلى صورته " أنظري يا أمي هذا الرجل الذي بلا شعر ؟!" . فإذا طالبته بالاعتذار بعد أن تشرح له أنه تسبب في جرح هذا الرجل .... سارع بالاعتذار ولكن ما هي إلا لحظات قليله حتى يعلـــو صوته صائحاً " انظري يا أمي إلى أسنان هذه المرأة المتعوجة ؟ وإذا استضافتها صديقتها .... صاح قائلاً " لا أحب هذا الأكل البشع " .... وإذا رأي رجلا من الوزن الثقيل قال" إنظري يـــا امي إلى هذا الرجل المنتفخ البطن " .... لقد صارت حياتها مريـــرة.... فهـــي تتجنـــب الآن الخروج وصحبة الناس .... وابتعدت عن الأقارب والمعارف .... صارت حياتهـــا مرهونـــه بصوت ابنها حين يعلو منقدا أو متعجبا من شكل أي إنسان؟!.

تري لماذا يتصرف إبنها هكذا؟! ... لماذا يتصرف بهذا الأسلوب الفريد؟!.... وبعد جهد كبير في فحص الذات بأمانة وإستنارة ... تذكرت الأم أنها علمت إبنها مبادئ ووصايا دون أن تعمل بها .... فكم من مرة سمعها إبنها تتكلم على صديقتها التي كانت في صـــحبتها منـــذ دقـــائق وتصفها بأبشع الأوصاف ؟!...

لقد إختلت المعايير في نظر طفلها البرئ .... ولم يستطع أن يتفهم كيف يمكن للمحبة والصداقة الحميمة أن تتكلما بالشر على المحبوب والصديق الذي كنا نعانقه ونمتدحه منذ لحظات قليله؟! تناقضت المبادئ والوصايا في نظر هذا الطفل الصغير .... ولم ير في أمه سلوكا بل مجـــرد مبادئ ووصايا لا تنفذ؟!.... لم يرَ في حياة أمه الانجيل المقدس الذي يغرس وحده الوصية في القلب ولا شيء سواه فصارت الوصيه هشه .... ضعيفة .... ولم يحتمل قلبه الصغير هـــذا التناقض الواضح بين القول والفعل فعبر عنه بهذا الأسلوب المخجل ... الذي تبناه أيضاً شبابنا لأنهم افتقدوا وصية الانجيل الحيه في تصرفاتنا.

وفيما هي مستغرقة هكذا في أفكارها وهي حزينة .... جاء إليها إبنها صائحاً ومتسائلاً " أمي أين هي ذراع هذا الرجل الأخري" .... هنا إحتضننته أمه وقبلته بعد أن أدركت أن سر الـــداء

فيها وليس في إبنها .... وأن عليها أن تكون حياتها رسالة مقروءة لجميع أفـراد بيتهـا .... ورائحة زكية يشتمها أفراد أسرتها أيضا...

رحلة عمل

عندما بلغت السابعة والعشرين من عمرى ... كنـت أتمتـع بمركـز متميـز فـى شـركة إستثمار عالمية ... فقررت أن يكون لى بيت يضمنى مع زوجة وأولاد ...

ولما بلغت سن الاربعين من عمرى ... كنت أملك وأدير بنجاح كبير شـركتى الخاصـة ... فقررت أن أنتقل إلى منزل أفخم مع أسرتى ... واتسع عملى ...

وإتسعت معه مسئولياتى ومشغولياتى ... وضاق الوقت الذى أستطيع فيه أن أجلس مع الله ومع نفسى ومع أسرتى وأولادى ... وكبر أولادى بعيداً عن دائرة إهتماماتى ... إذ إكتفيت بتـدبير أمورهم المادية ...

وفى يوم من الأيام ... جلست أراجع جدول مقابلاتى العديدة لليوم التـالى ... فوجـدت أنـى سأستلم مبلغاً كبيراً من المال من عميل من العملاء ... فرحت بهذا الاكتشاف الذى سيسمح لى بالتوسع فى عملى وشراء بيت جديد يضمنى مع أسرتى وأولادى ... وشراء سـيارة جديـدة الخ... وأدركت إننى أخيراً ... قد وجدت السعادة الحقيقية ... لقد حققت كل أحلامى ...

ولكن ... فجأة ... اكتشفت إننى مريض بالسرطان ... وخرجت من دائرة العمل لأدخل فـى دائرة الأطباء والتحاليل الطبية والتقارير والمستشفيات ... إستئصال الورم أمر ضـرورى ... وقبل العملية الكبيرة الخطيرة .... جلست مع نفسى أعدد كل البركات والمواهب التى أعطيت لى من الله دون أن أدركها ... ودون أن أشعر بها ... ودون أن أشكره لأجلها ... ثم أين أنـا من أسرتى ومن أولادى ... هل جلسنا معاً ؟ ... هل تحادثنا معاً ؟ هل بحثنا سوياً مشاكلهم مع نفوسهم ومشاكلهم مع المجتمع ؟ هل كانت لى الأذن المنصته لآنـات قلـوبهم ... وثـوارات غرائزهم وعقولهم ؟ .. هل رأوا فىّ القدوة التى بحثوا عنها فى مثاليات لم يجدوها إلا مكتوبة أو مسموعة دون أن تكون معاشه ؟ ... وصغرت نفسى أمامى عندما رأيت حـبهم المتـدفق يحوطنى .. يريد أن يحمينى من المرض ... يريد أن يحتضنى لئلا اتألم .. يريد أن يـضمنى لئلا أستشعر مرارة العزلة التى تجرعوها ... يقف متأهباً لتلبية أدنى طلباتى وقبل أن أطلبهـا ... يبتسم لإبتسامتى .. ويتألم لآلامى ...

وفى حجرة العمليات وعدت الله جابلى ... إن كتب لى أن أعيش .. أن تكون حياتى صـورة مرئيه تعلن عن بركاته ومواهبه وقدراته التى منحها لى ... كما وعدته أن لا يكـون هـدفى الوحيد هو الارتفاع ببناء قد إرتفع فعلاً ... ووعدته أن أعطى من ذاتى لأسرتى وأولادى ... ونجحت العملية ... ووفيت بما وعدت به ...

وبفضل الله على لم ينتشر المرض فى جسمى ... ولكن وجدت فى إصابتى بهذا المرض فرصة لأعيش كما كان ينبغى لى أن أعيش من قبل ...

وبعد أن حددت أوقات عملى ... لم ينقص الخير عن مائدتى ... ولا فقدت السقف الذى يحمينى ... ولا إحتجنا لشئ لم نستطيع شراءه .. ولكنى غمرت بسعادة لم أشعر بمثل جمالها من قبل سعاده المشاركة فى محبة أولادى ... والانفتاح عليهم ... والاندماج فى حياتهم ...

مهمة عاجلة

كنت ذاهباً فى مهمة عاجلة خاصة بالعمل ... وكان أمر الذهاب مباغتاً .. لم أستطيع معه تناول طعامى .. فإشتريت بعض المعلبات والعصائر ...

وذهبت أنتظر قدوم القطار ... وكنت أمنى نفسى بوجبة شهية ... إخترت بعناية فائقة كل مكوناتها ..

كان الجو بارداً جداً والسماء ملبدة بغيوم تنذر بهطول الأمطار التى ما لبثت إن إنهمرت بغزارة ... وإبتلت ملابسى ... وبدأت أرتجف ... ثم بدأ جسمى ينتفض ... ونفسى تئن فى بؤس وشقاء ... خيل إلىّ أن الدقائق لن تمر ... والقطار لن يحضر ... وبدأت أتخيل نفسى مريضاً .. طريح الفراش مصاباً بنزلة شعبية حادة ... السعال يمزق ضلوعى ... والآلام تنخر فى عظامى ... والصداع يطوق رأسى ...

أفزعتنى أفكارى ... فمددت يدى فى حقيبتى أبحث عن غطاء لرأسى المبتل ... ويالشقاوتى ... هوذا برطمان مربى الكريز – التى أعشقها – ينزلق مع المنشفة وينكسر على الأرض ... إزدادت نفسى ضيقاً وتبرماً ... حقاً إن هذا اليوم يوم مشئوم ... كنت أنظر بحسرة إلى حبات الكريز المتناثرة على الأرض ...

وإذ بى أرى إمرأة عجوز تسرع الخطى إلى نصف البرطمان السليم ... تضع فيه أصابعها لتردها إلى فمها ... متلذذة بمذاق المربى الحلو ... وهكذا فعلت إلى أن انتهت من آخر قطره فى البرطمان ... ثم استدارت تجاه المربى المتناثرة على الأرض ... تغترف بيدها إلى فمها ثم تبصق بجزئيات الزجاج التى تسربت إلى فمها مع المربى ... وعندما لم يتبق لها شئ بعد ... قامت ذاهبة فذهبت وراءها واعطيتها كل ما اشتريت من معلبات وعصائر ... فأخذتها دون أن تتكلم ... وقفت أرقبها وهى ذاهبة ... فرأيت حفيدها يجرى نحوها .. ثم جلسا سوياً ... ورأيتها تنظر فى فرح لحفيدها وهو يشبع جوعه فى نهم وتلذذ ... وهنا تبدد كل البؤس الذى استحوذ على كل كيانى ... لقد مرت الدقائق دون أن أشعر ... وزالت الرعشة عن جسدى ... وأحسست وأنا أصعد درجات القطار ...

إنى سعيد ... بل وسعيد جداً ... لقد تلاشت الآمى البسيطة فى بحور الآم الأخرين ...

أجمل زهرة

جلست الفتاة وحيدة فى الحديقة ... لقد انتهت حياتها الآن ... لم يعد لها شئ آخر ترجوه مــن هذه الحياة ... لقد احتملت الصراع المستمر فى أسرتها ... واحتملت الفــشل الــذى أصـــابها مراراً ... واحتملت ظلم الآخرين وها هى الآن تفقد أعز صديقة لها ...

صديقة الطفولة التى كانت الأذن الصاغية لآلامها ... والقلب المنفتح على قلبها الجــريح ... والعقل المفكر للخروج من مشاكلها المتعددة ... انقلبت عليها صديقتها الوحيدة الباقية لهــا ... وها هى وحيدة يائسة ... حقاً إن الحياة خدعة كبيرة ... وأكذوبــة كبيــرة أيــضاً ... كلهــا متناقضات ...

هكذا استغرقت الفتاة فى أفكارها المظلمة ...

عندما اقترب منها صبى صغير يلهث متعباً لشدة ما جرى فى لعبه ... وقف الــصبى أمامهــا وقال بنبرة منتصره " أنظرى ... لقد وجدت هذه الزهرة الجميلــة " نظــرت الفتــاة ... وإذ بالصبى لا يحمل فى يده سوى زهرة ذابلة حرمها القدر من المياه والضوء ... فكانــت بــلا منظر ولا جمال ... رفضت الفتاة أن تأخذ تلك الزهرة لكن الصبى جلس بجوارهــا وقــرب الزهرة من أنفه وهو يصيح " يالرائحتها الجميلة ... لقد قطفتها خصيــصاً مــن أجلــك " ... تفرست الفتاة فى الزهرة الذابلة ... المائته ... ذات الألوان الباهته وقررت أن تأخذها وإلا فلن يتركها الصبى لحالها ... مدت إليه يدها وقالت " أنها الزهرة التى كنت أريدها " ... ولكنهــا رأت أن الصبى لا يرى يدها الممدودة إليه ... وأخذ يحول يده الممسكه بالزهرة باحثاً عنهــا ...عندئذ أدركت أنه أعمى ...

هنا تحول صوتها إلى حشرجه ... وإنهمرت الدموع غزيرة من عينيها ... وقالت له إنها فعلاً لأجمل زهرة ... " فأجابها الصبى " أشكرك ورجع يجرى لاهثاً ليلعب " .

هنا تساءلت الفتاه " كيف أستطاع هذا الصبى الأعمى أن يرى فتاه محطمة ... تجلس وحيــدة فى حديقة واسعة ... لقد رآها بقلبه ... ببصيرته الروحية ... لقد كشف لها الصبى الأعمــى ... أن المشكلة ليست فى العالم المظلم بل فى داخلها ... لقد نظرت إلى الحيــاة بعيــداً عــن منظار الله ... لقد تركزت نظرتها للحياة على نفسها فقط دون النظر لاحتياجات الآخــرين ... كانت عمياء ولكنها ها هى الآن تبصر لتدرك أن الحياة فرصة موهوبة لنا مــن الله علينــا أن نستفيد منها دون أن نتوقف عند مساوئها ...

قربت الزهرة من أنفها ... حقاً إن رائحتها خلابه بالرغم من مظاهر ذبولها والوانها الباهتــه ... حقاً إنها أجمل زهرة ...

قصة حياتى

ماذا لو أهداك والدك قلما ثميناً جداً .... هل ستفكرين حينذاك في كميه الحبر الذي يحتويها هذا القلم أو عدد الكلمات التي سيكتبها ؟!.... أم إنك ستمسكين بالقلم وتتركينه يضع بصمته على مئات بل وألوف من السطور البيضاء دون تفكير ... معبراً عن مشاعرك وأفكارك ؟!.

وماذا عساك تكتبين للتعبير عن مشاعرك في رحلتك في داخل نفسك ؟ هل تكتبين عن التناقض بين مشاعر كثيرة لم تشعري بها من قبل ؟ أم تكتبين عن الضغوط التي تتعرضين لها في دراستك؟ أم عن رغبتك في تحقيق ذاتك وتصادمك مع والدك؟ أم عن شعورك بأنك ضحية لا حول لها ولا قوة .... مسلوبة الإرادة والعزيمة ؟ أم عن سعيك للمحافظة على مكانتك في الشلة لتشعري أنك مقبولة ؟ أم عن طبيعتك المتمرده وصراعك الداخلي؟....

ربما كتبت أيضاً عن الحب ... أو البغض ... أو الفقر ... أو الحياة أو الموت.... وربما كتبت لإرضاء نفسك ... أو لإرضاء الآخرين .... ربما كتبت بخوف وحياء .... أو بقوة وجرأة....

فعندما تمسكين بالقلم ... تحركينه وفق إرادتك الحرة .... لبلوغ هدف وضعتيه في نفسك .... تعبرين عنه بالكتابة ... أو الرسم ... أو التصميم ... أو بمجرد بعض الخطوط التي لا معني لها إلا في نفسك .... والقلم يستجيب بلا تردد .... ولا مماطلة لأنه في يدك ...

إن الله وهبني الحياة هديه منه تماماً مثل هذا القلم ... ولكنها أكثر قيمة وبكثير من هذا القلم ... فلن أضيعها في التفكير في إمكانياتي وقدراتي .... ولن أتوقف عند تغيرات معينة تضايقني... ولن تعوق مسيرتي بعض المشاعر والأحاسيس التي تغلبني .... ولن تشل إرادتي أحداث لا أستطيع إدراك حكمة الله منها ..... بل سأمضي سائرة في طريقي ... يملأني الإحساس بأني من مملكه سماوية يتساوي فيها الجميع ويقبل الجميع ... أري نفسي من خلال عين الله ... واعكس وجوده في حياتي في كل ما تمتد إليه يدي ... وأري العالم من خلال عينيه .... وأسطر بحياتي هذا الجمال الفائق الذي اعطانيه الله والذي عبر عنه النبي بهذه الكلمات الرائعة:-

وتكونين إكليل جمال بيد الرب

وتاجا ملكيا في كف إلهك ...

لا يقال بعد ... لك مهجورة

ولا يقال بعد .... لأرضك موحشة (خربه)

لأن الرب يسر بك...

وكفرح العريس بالعروس
يفرح بك إلهك..... (إش ٦٢ : ٣ –٥).

بائع اللبن

إعتاد بائع اللبن أن يحضر لي اللبن الطازج في كل صباح ... وكان في ربيع عمره ... يشقي ويتعب ليصرف على أسرته الصغيرة ... ولكنه دائم البشاشة والابتسام...
وذات يوم رأيته على غير عادته مهموما .... ولما سألته عما يضايقه أخبرني أن إحدي زبائنه وهي أم لستة أطفال لم تدفع له حساب اللبن المتراكم عليها ثم أضاف لقد كانت تعاملني بلطف ورقه وتقول لي دائماً " عندما يرجع زوجي من عمله البعيد .... سوف أدفع لك ثمن اللبن " ... فصدقتها إذ كنت أعتقد أنني أعمل الصلاح .... ولكني إكتشفت الآن اني كنت جاهلاً وغبياً..
حاولت أن أواسيه ولكن بلا جدوى ... كان يزداد غضبا من تصرفه الغبي وعدم إدراكه لحقيقة الناس الشريرة .. ثم قرر ألا يعطيها اللبن بعد ذلك...
أخذت أفكر في الطريقة التي تعيد له فرحه وسلامه وأقترحت عليه أن يستمر في تقديم اللبن لتلك المرأة ذات الأطفال السته والزوج الغائب .. فأجابني بحدة " لابد أنك تمزحين هل يحق لي أن أعطيها اللبن مجاناً " .. فأجبته تذكر إنك تطعم المسيح شخصياً حينما تطعمها مع أطفالها السته " كنت جوعانا فأطعمتموني " ..... فأجاب بغضب " ولماذا إستهانت بي وباحتياجي الشديد للمال .... ولماذا لم تقدم لي طعاماً لأكل مع أسرتي التي لا أجد ما يسد احتياجاتها ؟!.
ولماذا لم تنفذ هي وصيه الانجيل ؟ وإستمر في غضبه .. لا يريد أن يتنازل عن حقه .. وكان عيد الميلاد يقترب فقلت له لتكن هديتك للطفل يسوع في هذا اليوم هو إعطاء اللبن مجاناً لهذه الأسرة..
ومضت الأيام ... وفي يوم أتي يخبرني أنه إستطاع أن يقدم اللبن للأسرة كهدية للطفل يسوع في عيد ميلاده ... ثم أضاف لقد وجدت صعوبة كبيرة للقيام بهذا العمل ولكني فكرت إن هذا العطاء لن يحرمني من الحياة ... وكما ترينني فإني مازلت حياً .. أستطيع أن أتحرك وأن أتكلم ... أجبته " ولكنك قطعاً تشعر الآن بالفرح يملأ قلبك " .. فأجاب " لقد زالت عني تلك المرارة التي كانت تملأ قلبي" ...
وبعد العيد ... أتاني فرحاً بشوشا كعادته السابقة ... كان في طريقه لبيع اللبن عندما سمع صوت إمرأه خلفه تناديه ... ولما التفت أبصر تلك المرأه وأطفالها السته تطلب منه

الانتظار... ولما إقتربت منه قالت " آسفه لتأخيري في دفع ثمن اللبن الآن وقد دبرت لك نقودك أشعر بالراحة ... أخيرا رجع زوجي وأخيراً وجد له عملا إضافياً ... " فأجبتها " لقد سدد ما عليك من نقود " ... فصرخت متعجبة ولكن كيف؟ !... لقد دفعتها أنا " فنظرت إلى وكأنها تري ملاكاً يبشرها بفرح عظيم .. وبدأت تبكي .. فلم أشعر إلا والدموع تنساب من عيني دون أن أدري لماذا ؟!.

إسألوا ..... تعطوا

فازت بائعة بسكويت بالجائزة الكبري ... وهي تذكرتان للسفر حول العالم ... لأنها حققت أعلى نسبة مبيعات من البسكويت ...

بدأت الفتاه تبيع البسكويت وهي في السابعة من عمرها ... كانت تذهب من باب إلى باب ... بعد الانتهاء من يومها الدراسي لتبيع البسكويت ... ومن هنا اكتسبت وهي في الثالثة عشرة من عمرها ... فن البيع الناجح ... وأدركت أن هذا الفن يبدأ برغبة حارة وإرادة حديديه لنجاح هذا المشروع وتحقيق حلم حياتها وحياة والدتها في السفر حول العالم ..

وفي يوم قرأت الفتاة إعلانا في إحدي الجرائد يخصص تذكرتين للسفر حول العالم لمن يحقق أعلى نسبة في بيع البسكويت في العالم ...

جلست الفتاة تفكر – وفي قلبها شوق ورغبة في السفر حول العالم – كيف يمكنها أن تحقق أعلى نسبة في بيع البسكويت في العالم ...

وبعد تفكير عميق ... وضعت خطتها بعد أن اسمتعت لنصائح الأقرباء والأصدقاء والمعارف ... فمن تكلم عن المظهر اللائق ... ومن ذكر إختيار الوقت المناسب ... ومن أشار لإختيار المشتري الغني ... ومن نصح بالابتسامة الدائمة واللطف سواء اشترى الزبون أم لا ... وأخيراً قال لها أحدهم أن تبوح للزبون بحلم حياتها وتطلب منه أن يشاركها في تحقيقه ...

وبهذا استطاعت الفتاة أن تحقق أعلى نسبة مبيعات في تلك السنة وفازت بالسفر حول العالم مع والدتها....

لقد تحقق حلم الفتاة عندما احبها الناس فشاركوها في تحقيق حلم حياتها ... عندما لم يمنعها الخوف من رفض مطلبها من الطلب بلجاجه ... كما لم تخجل من تدني قيمة البسكويت الذي تبيعه ... لقد استثمرت القليل الذي عندها بكل طاقتها ... فتحقق لها حلم حياتها ...

ولكل منا هدف ... نهب ذواتنا لتحقيقه ... في المدرسة ... في العمل ... في علاقاتنا مع الآخرين ... والهدف النبيل لابد أن تحققه الوسائل النبيلة مهما صغرت فقط نحتاج للجرأة لنسأل عما نريده ... بلا خوف ... بلا تردد ... وكلما سألنا ... أخذنا...

وإن كنا نأخذ من والدينا المبادئ والمثل ... ونأخذ من المعلـم العلـم ... ومـن الـزميلات المشاركة إلا أن مصدر كل هذه العطايا هو الله وحده ... فلماذا لا نطلب منه أن يشاركنا فـي تحقيق حلم حياتنا في السفر فوق جسور المحبة لنصل إلى ملكوته ... ونفوز بعشرته الطيبه في الأبدية ...

أسألوا .... تعطوا.

يا رب

يارب : إجعل أولادك يتعاملون مع العالم دون أن يسمحوا للعالم أن يكون في داخلهم ...

يارب : ليتك ترعاهم برعايتك الفائقة ... إمسك بيمينهم في صراعهم مع أنفسهم ومع العالم ... حتى يعيشوا في سلام...

يارب : يوما ما سيدرك أولادك أن ليس كل الناس أبراراً ... وليس كلهم عادلين ... وليس كلهم عادلين ... وليس كلهم صادقين ... سيرون أيضاً في دهشة أن الشرير قد صار بطلا ... وأن أمام القائد الظالم ينحني الكثيرون ... كما سيعرفون أن لأعدائهم أصدقاء كثيرين .... فأسندهم بيمينك القوية ... وعضدهم بحبك ... حتى لا تتسبب هذه المعرفة المريرة في ضياعهم ...

يارب : سيمضي وقت طويل ... قبل أن يدرك أولادك أن القليل من المال الذي بذلوا جهداً ليكسبوه أفضل بكثير من مال وفير لم يتعبوا فيه ...

يارب : إبعد عنهم كل حسد ... وعلمهم سر البشاشة ... إجعل لهم سلاماً معك ... وإغرس قوتك في داخلهم ليتحملوا مرارة الفشل ... وبث فيهم أمل البدء من جديد حتى ينجحوا....

يارب : علمهم أن ينصتوا لكل أحد ... ويختاروا منه ما يتناسب مع مبادئ وصيتك ... وإن تعارضت مع مبادئ الجموع المحيطة بهم...

يارب : علمهم أن المجد قد يسبقه الفشل وأن النجاح قد يسبقه اليأس.

يارب : علمهم أن يقتنوا المعرفة والعلم وأن يحفظوا قلوبهم تحركها محبتك وحدها ...

يارب : علمهم ألا يقارنوا أنفسهم بالآخرين حتى لا يقعوا في الكبرياء لشعورهم أنهم الأفضل ... أو اليأس لشعورهم أنهم الأدني.

يارب : علمهم أن هناك وقتاً للراحة ... كما أن هناك وقتا أيضا للعمل والاجتهاد.

يارب : علمهم أن يثقوا في نفوسهم وبهذ يثق فيهم العالم.

يارب : إذا سمحت لهم بالآلام ... فإفتح بصيرتهم لكي يدركوا أنها النار التي تنقي الذهب وتجعل الحديد الصلب لينا...

يارب : إذا نسيك أولادك..... فأرجوك لا تتساهم...